

بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاة "ملك كردستان"

أيوب بارزاني - جنيف - 2006/12/21

كان لمبادئ الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون Woodrow Wilson صدى هائلاً عند الطبقات السياسية للقوميات الخاضعة للامبراطورية العثمانية. ألقى خطابه المتضمن النقاط الأربعة عشر في 8 كانون الثاني 1918. وهذا موجز ماورد في خطابه :

"....."

إننا دخلنا الحرب لأن الحق تعرض الى الإعتداء، وقد أصبنا في الصميم، وأمست حياة شعبنا لاتطاق إن لم يعاد الحق الى نصابه ويضمن للعالم الأمان ومنع تكرار ذلك. ولذا ما نطلبه في هذه الحرب ليس من الغرابة في شيء، فهذا العالم يجب ان يصبح مكاناً آمناً لجميع الامم المحبة للسلام كأمتنا الراغبة في الحياة، وان تنشأ مؤسساتها وتضمن العدالة والمعاملة المنصفة من قبل شعوب العالم وضد القوة الأنانية الغاشمة. جميع شعوب العالم شركاء في المصلحة، ومن جانبنا، نري جيداً انه بدون تحقيق العدالة للأخرين فإنها لن تتحقق لنا، ولهذا السبب، برنامج السلام العالمي هو برنامجنا وهو الوحيد الممكن، وكما نراه نحن :

ثم يأتي تباعاً على النقاط الأربعة عشر، نوردها باختصار شديد:

- 1- "الإتفاقات الدولية يجب ان تكون مكشوفة للامم وللشعوب".
- 2- "حرية الملاحة البحرية"
- 3- "تقليص التسلح"
- 5- "عند التعامل مع مسألة المستعمرات أخذ مصلحة الشعوب في الإعتبار"
- 6- "تخليه الأراضي الروسية المحتلة وتقديم العون لها"
- 7- "إعادة السيادة الى بلجيكا"
- 8- "تحرير جميع أراضي فرنسا وإعادة مقاطعات ألزاس - لورين لها"
- 9- "إعادة ترتيب حدود إيطاليا"
- 10- "مكان مناسب لشعوب النمسا وهنغاريا بين الأمم"
- 11- "تعاد لرومانيا وصربيا ومونتنيغرو، أراضيها المحتلة"
- النقطة الثانية عشر، تخص الشعوب التي رزحت تحت حكم الامبراطورية العثمانية:
- 12- "ان الجزء التركي الحالي من الامبراطورية العثمانية يُضمن له السيادة، لكن يجب ضمان الأمن التام في العيش للقوميات الأخرى التي هي الآن تحت الحكم التركي، ومنحهم الفرصة غير المقيدة في تطوير إستقلالها، ويجب إبقاء ممر الدردنيل مفتوحاً دائماً للملاحة التجارية لجميع الأمم وبضمانات دولية.
- 13- "يجب إيجاد دولة بولونية تحوي السكان البولونيين"
- 14- "يجب إيجاد رابطة أممية بمعاهدات محددة لتوفير ضمانات متبادلة للإستقلال السياسي وسلامة الأراضي للدول الكبيرة والصغيرة على حد سواء."

"وفيما يخص هذه التعديلات الأساسية لتقويم الخطأ وإعادة الحق الى نصابه، نشعر بأننا شركاء حقيقيين لجميع الحكومات والشعوب المتفقة ضد الإمبرياليين، فمصالحننا لاتنفصل ومقاصدنا لاتتقسم ونقف معاً حتى النهاية".

"....."

1919

. 14

وكما كان الحال مع سعد زغول، كان الشيخ محمود الحفيد على علم بمبادئ ولسون وحفزه هذا على طلب استقلال كردستان من بريطانيا، وقد اقتربت قواتها من كردستان بعد احتلالها للعراق. وليس من شك ان الكثيرين صدقوا مضمون مبادئ ولسون، فبالنسبة لهم، أن ساعة قيام دولة كردية مستقلة، بعد قرون من الإضطهاد والتخلف، قد حان. كانت بريطانيا

قد دخلت الحرب من أجل السيطرة على مصادر جديدة للطاقة، وكانت على علم بوجود البترول في كردستان، وهنا تمسكها بالأراضي الكردية ومقاتلتها للقوات التركية التي سعت الى إثارة النعرة الدينية ضد بريطانيا.

ولضمان تأييد الشعوب الواقعة تحت الاحتلال التركي بث الحلفاء في 8 تشرين الثاني/نوفمبر 1918 الإعلان المشترك من باريس ولندن والقاهرة: "الهدف هو التحرير التام والنهائي للشعوب التي عانت طويلاً من الاضطهاد التركي وإقامة حكومات وطنية تستمد صلاحياتها من المبادرة الحرّة للسكان الأصليين".

وقعت هدنة Mudros في 30/10/1918 والتي أكدت استسلام الامبراطورية العثمانية للحلفاء، وأعتبر عدد من المؤرخين الكرد ان الفترة الواقعة بين شهر أكتوبر 1918 وحزيران من عام 1919 أفضل فرصة لإقامة دولة كردية مستقلة. فقد ساد فراغ سياسي كبير، وأعلن السوفييت في 1917/12/3 أنهم لايطمحون في الأراضي التي منحها إتفاقية سايكس بيكو لروسيا، وتشمل معظم أراضي كردستان تحت الاحتلال التركي - الإيراني. وفي خضم الاستعدادات لأقامة دول جديدة، استطاع الأرمن والكرد حلّ خلافاتهما والتوقيع على إتفاق في باريس في 12/20/1919 وقعتها من الطرف الأرمني بوغوزنوبار باشا ومن الطرف الكردي شريف باشا. الأخير شخصية، كانت على قدر كبير من الاستعداد لاستغلال الفرصة التاريخية التي ولدتها هزيمة تركيا في الحرب، لكنه لم يكن مدعوماً بحركة جماهيرية منظمة. وحسب ما ذكره لى الأستاذ عصمت شريف فانلى في صيف عام 2006 في لوزان، انه كان يطمح في تأسيس مملكة كردية يكون هو ملكاً عليها. وقد حضر الوفد الكردي بصفة مراقب في كونفرانس سيفر، ونتج عن المؤتمر توقيع إتفاقية ب433 مادة في 10 اغسطس 1920. البند الثالث (المواد 62 - 64) كانت تتعلق بكردستان. والبند السادس (المادة 89) تتعلق بأرمينيا. في الواقع بذل شريف باشا جهوداً دبلوماسية كبيرة لدى فرنسا وبريطانيا للقبول بتأسيس دولة كردية. وقدم مذكرة تلو مذكرة لباريس ولندن واتصل بوزراء الخارجية والسفراء دون كلل واليه يعود الفضل في إسماع صوت الشعب الكردي في مؤتمر الصلح في باريس. كما قدم مذكرات الى Wilson, Clemenceau, Lloyd george, Orlando يقترح فيها تشكيل حكومة مؤقتة في كردستان. لكن فرنسا رفضت مقترحه وأعتبرت ذلك ضمن المخطط البريطاني. (1) ومن جانبها إعتبرته بريطانيا غير مناسب ليكون على رأس الدولة الكردية في المستقبل، بسبب تقدمه في العمر وإقامته الطويلة في باريس.

حاز ممثلوا الاكراد على صفة شبه رسمية، رغم ان دولة كردية لم تكن قد أوجدت، وفيما يخص أكراد ايران فقد ارسل سمو (اسماعيل آغا شكاك) السيد طه النهري نيابة عنه في مايس 1919 لبحث انضمام كردستان الواقعة تحت النفوذ الفارسي الى الدولة الكردية الموحدة في المستقبل وبحث هذا الموضوع مع الانكليز، لكن الخيبة كانت في انتظار هذه المساعي، اذ حسب قول السير ارنولد ولسون: "كان علينا ان لانشجع أية مساعي إنفصالية يبيدها الكرد الذين يعيشون في ايران، كذلك الاكراد الذين يعيشون تحت الحكم التركي، فقد كان يتحتم علينا ان نترك الاكراد خارج ولاية الموصل لشأنهم." وبمعنى أدق كان الاهتمام البريطاني مركزاً على نطف ولاية الموصل. (2)

أما الوسط السياسي الكردي فقد شهد ثلاثة اتجاهات رئيسية الاول هو اتجاه خليط من الاكراد والتترك ذو نزعة اسلامية، وقد شجع هذا الاتجاه واستغل من قبل القوميين التترك، وذلك لاثارة الفوضى ضد الانكليز في شمال كردستان، وايضا للحيلولة دون قيام دولة ارمنية، أما في حالة قيام دولة كردية، فقد كان الهدف ان لاتقع تحت هيمنة اية دولة عظمى. (3)

أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه اوتونومي النزعة ويتزعمه السيناتور عبدالقادر. و هنا لايبغيب عن البال ان الشيخ عبدالسلام البارزاني كان على صلوات وثيقة بالشيخ عبدالقادر، ويشاطره الموقف، نظراً لانتمائهم الى الطريقة النقشبندية وايضاً لمحتوى المذكرة التي كان شيخ بارزان قد رفعها الى الباب العالي، حيث تضمنت مطالب معتدلة واخيراً لقاء شيخ بارزان بالشيخ عبدالقادر قبل ذهابه الى روسيا. (4)

أما الإتجاه الثالث فقد كان يدعو الى استقلال كردستان ويمثله الامير أمين عالي بدرخان.

كان المجتمع الكردي لايزال يعيش حالة التدهور والتشتت والضعف التي أعقبت إنبهار الإمارات والمشيخات الكردية في القرن التاسع عشر، ولم يكن قد استعاد سلطة مركزية لحدود معينة تحت قيادة موحدة كما كان الحال في عهد الشيخ عبيدالله النهري أو الأمير بدرخان أو الأمير محمد رواندوزى وغيرهم من الذين قادوا حركة التحرر الكردية في القرن التاسع عشر. وكانت بارزان بعد الحرب العالمية الاولى وبإعدام شيخ بارزان قد فقدت تأثيرها في الأحداث السياسية. ولم تكن هنالك روابط تنسيق بين التنظيمات الكردية السياسية في استنبول وحركة سمايل آغا شكاك و إنتفاضات الشيخ محمود الحفيد في السليمانية. فديناميكية المجتمع الكردي الجامدة آنذاك لم تسمح ببروز قيادات عصرية، فقد كان النفوذ السائد مستمداً من الإنتماء الى الطريقة القادرية أو النقشبندية أو من النفوذ الإقطاعي.

وفي نظرنا لم يكم سمايل آغا شكاك ليتمتع ببعده نظر سياسي، كانت العقلية القبلية قوية لديه، وإتسمت بعض أعماله بالتهور والإمبالاة بالنتائج. بينما كانت إنتفاضات الشيخ محمود الحفيد تحمل قدراً كبيراً من الطابع المدني ويتمتع بنفوذ ديني – مستمد من الطريقة القادرية. وله أهداف قومية ثابتة وواضحة، فهو يطالب بتشكيل دولة كردية وفق وعود الرئيس الأمريكي ولسون وإعلان الحلفاء المشترك. وأرسل الشيخ محمود ممثلين عنه لحضور مؤتمر السلام في باريس، لكنهم منعوا من السفر وفق تعليمات المندوب المدني البريطاني في بغداد، وكانوا في بيروت ودمشق على أمل السفر، لكن دون جدوى. (5)

ليس من شك ان قرون من الحكم التركي المتخلف ترك أثراً كبيراً على الحالة النفسية للوجهاء الكرد، ففي الماضي فشلت جميع الانتفاضات الكردية في وجه الباب العالي، وعندما ظهرت بوادر نهايته وتراجع القوات التركية أمام تقدم قوات الحلفاء في الجبهات، شكل ذلك صدمة هائلة في المجتمع الكردي، وأثار آمالاً كبيرة في حياة جديدة. وكان الزعماء الكرد يراقبون سير العمليات في الجبهات وفي قرارة أنفسهم يتمنون هزيمة تركيا في الحرب.

سقطت بغداد بيد القوات البريطانية في آذار/مارس عام 1917. وهاجمت القوات البريطانية خانقين بعد ان شهدت المدينة احتلالين: روسي في نيسان/أبريل، وتركي عقب الانسحاب الروسي في حزيران/يونيو من عام 1917.. وقد غادرت الأخيرة خانقين في نهاية آب/أغسطس. عزز الأمل الكردية تقدم قوات الحلفاء نحو المدن الكردية وما قدموه من وعود لتحرير الشعوب الواقعة تحت الهيمنة التركية. في كانون الأول/ديسمبر وقعت خانقين بيد الإنكليز وتم تعيين ضابط سياسي بريطاني للإشراف على العشائر الكردية. كان التقدم سريعاً في كردستان، فالشعب الكردي لم يقاوم تقدمهم، كلا الجيشان، التركي والبريطاني يتقاتلان على أرض كردستان، وربما يكون المحتل الجديد أفضل من المحتل القديم. تم احتلال كركوك في شهر مايس/مايو من عام 1918 وكعادتها تعين بريطاني ضابط سيايين لإدارة المدن المحتلة. أخلت القوات التركية مدينة السليمانية إثر احتلال بريطانيا لكركوك. وهنا زال الخوف وأصبح من الممكن إعلان الكرد الترحيب بالمحتل الجديد. ويظهر ان عدة إجتماعات عقدت بين الشيخ محمود وعدد من الوجهاء في المدينة وزعماء العشائر. خرج منها الشيخ بموقف موحد وبأهداف واضحة قدمه لسلطات الاحتلال البريطانية. وهي مطالب مبنية على وعود الرئيس الأمريكي ولسون الأربعة عشر والإعلان البريطاني الفرنسي المشترك. وتقرر أيضاً تشكيل حكومة مؤقتة يرأسها الشيخ محمود الحفيد وذلك لإكتساب عنصر الشرعية، وهي حكومة تمثل جميع الأكراد. وبإسمهم، يذكر أن نولد ولسون في كتابه:

"نيابة عن جميع أبناء الشعب الكردي على طرفي الحدود، عارضاً علينا تسليمنا لجام الحكم أو تعيينه رسمياً مثلاً عنا تحت حماية العلم البريطاني العظيم. إن شعب كردستان، أضاف الشيخ محمود، سعيد بإننتصار اتنا وتحرر بفضل بسالة قواتنا من الظلم التركي، ويتطلع قدماً نحو الإزدهار تحت حكمنا كما إزدهر العراق. وأنهى رسالته إلينا يطلب تأكيداً بعدم السماح وتحت أية ظروف كانت بعودة السلطة التركية الى كردستان. (6)

وورد في كتاب ارنولد ولسون : "كان لتوه قد أخذ قرار إخلاء كركوك – وهنا يخفي الحقيقة عن الشيخ محمود فيذكر سبب هذا القرار – اضطرت على الجواب بأننا نغادر المكان خلال الفصل القاطن، لكننا نأمل العودة قريباً. وقبلت مقترح الشيخ محمود أن يعمل كممثل لنا، إن أمكنه ذلك، وتم تهيئةً بلاغ شعبي عن الموضوع. لكن قبل إعلانه أعاد الترك إحتلال كركوك، بعدها بوقت قصير أرسلوا فصيل عسكري قوي الى السليمانية وتم وضع المدينة تحت الأحكام العرفية، والقي القبض على الشيخ محمود، كذلك الوجهاء الذين لم يفروا إما سجنوا او فرضت عليهم الغرامات....." (7)

وعندما عندما إندلعت إنتفاضة الشيعة ضد البريطانيين عام 1920، أخذ البريطانيون الساخطين على الشيعة بالبحث عن "مرشحين سنةً للنتاج". إعتقد الساسة البريطانيون أن نمط الحكم "الجمهوري" لا يتناسب مع العقلية العربية الإسلامية. وإنما الملكية هي الملائمة. لذا اختاروا شخصيات ذات خلفيات دينية. ومعروف ان النظام الملكي في العالم العربي هو نتاج الحكم البريطاني، كما هو الحال في الاردن والمملكة العربية السعودية، والعراق حتى عام 1958. كان الأمير فيصل الذي طرده السلطات الفرنسية من دمشق في 1920/07/24، مشرداً يوجب الصحراء الأردنية مع 25 امرأة و175 من الحراس وبرفقتة 4 أطنان من الحفائب، أختاره اللورد كريسزون رغم إنطباعه من أن فيصل ذا "شخصية ضعيفة وانه كان دمياً في دمشق". (8)

الواقع ان هذه الحالة لم تتواجد في كردستان، فلم يكن هناك فراغ لتتصيب "ملك مستورد" فالشيخ محمود الحفيد تمتع بنفوذ وإحترام كبيرين في الوسط الكردي ولم يكن هنالك خلاف على تنصيب "ملك" كردي في ظروف جنوب كردستان آنذاك والواقعة تحت الاحتلال البريطاني. لكن السياسة البريطانية كانت معادية لتشكيل كيان سياسي كردي على رغم توفر عوامل إنشاء هذا الكيان. لقد كان واضحاً تماماً أن فكرة إلحاق كردستان بالعراق تحظى بالمعارضة الكردية الشديدة، وهنا تصرف البريطانيون في كردستان كمحتلين يستخدمون القمع والإرهاب لإخضاع الشعب الكردي ويلجأون في نفس الوقت الى

التحالف العسكري مع السلطة العربية في بغداد لإحتلال مزدوج بعيد المدى لكردستان. ولم ينفع حسن نوايا الشيخ محمود تجاه المحتل الجديد لتغيير نظرته تجاه مطالب شعب كردستان.

ولم تكن هنالك في هذه المرحلة سياسة بريطانية ثابتة فيما يخص التعامل مع شعب كردستان. ولم تستقر بعد أوضاع الجبهات فالبريطانيون والأتراك في الأشهر الستة الأخيرة من عام 1918 كانوا بين تقدم وتفقه، ومن منطلق الحاجة الماسة للقوات والخوف من تجدد الهجمات التركية، أن رحب البريطانيون بمقترحات الشيخ محمود الحفيد، فالأخير معادٍ للسلطة التركية، ومن الأفضل لهم - في الظرف الراهن - تواجد إدارة كردية معادية للحكم التركي. كان الهدف من احتلال كردستان هو عامل النفط والسياسة تابعة لها.

بموجب بنود الهدنة مع تركيا، عادت القوات الانكليزية الى كركوك و آلتون كوبري وبعد عدة ايام وصلت القوات البريطانية الى اربيل. وبموجب بنود اتفاقية الهدنة انسحبت القوات التركية من مدينة السليمانية، وفي شهر تشرين الثاني/نوفمبر عام 1918 عين الميجر نويل ضابطاً سياسياً مسؤولاً عن مقاطعة كركوك، ووفق رأي السير أرنولد ولسون، كانت المقاطعة تمتد من نهر الزاب الصغير الى نهر ديبالي وتمتد في الاتجاه الشمالي الشرقي الى الحدود الفارسية التركية وتعتبر جزءاً من ولاية الموصل. وزود السير أرنولد ولسون، ميجر سون بكافة التعليمات الضرورية لتنفيذ مهامه في كردستان المحتلة حديثاً، ولفت انتباهه بشكل خاص الى عدم احتمال قبول السلطات العسكرية ارسال قوات بشكل دائم الى السليمانية أو اماكن اخرى الى الشرق من خط الاحتلال، وان على الميجر نويل ترتيب امور الامن والنظام مع الوجهاء المحليين خارج حدود خط الاحتلال. (9)

واضح ان الاعتراف بالشيخ محمود حاكماً على السليمانية لم تمثل سياسة ثابتة لسلطات الاحتلال، انما كان بمثابة تكتيك مؤقت تبنتها تحت ضغط الظروف السياسية والعسكرية الصعبة لتلك الفترة. اذ كانت سلطات الاحتلال تعاني من نقص في عدد القوات وتخشى من عودة القوات التركية، لذا كان من الافضل لها تأييد اقامة ادارة كردية مؤقتة ومعادية للترك واستمالة الوجهاء الكرد الى ان تتضح الامور أكثر. ومن هنا عندما وصل الميجر نويل الى السليمانية في اواسط شهر تشرين الثاني عام 1918 أعترف بالشيخ محمود حاكماً على المنطقة وعين الوجهاء مسؤولين كل في منطقة نفوذه، وهؤلاء بدورهم مسؤولون مباشرة أمام سلطات الاحتلال ويتلقون الاوامر مباشرة من الضباط السياسيين البريطانيين، ولإستمالتهم كاملاً فقد خصص لهؤلاء الوجهاء الكرد مبالغ مالية، وازيح في نفس الوقت الموظفين التركمان والعرب وعوضوا بموظفين كرد. وبعد اسابيع، زار السير ارنولد ولسون في شهر كانون الاول عام 1918 مدينة السليمانية لتفقد الاوضاع بنفسه، فالتقى بالشيخ محمود وعدد آخر من الوجهاء واقنعته هذه الزيارة بأن الكرد سيقاومون عودة الترك. لكن كان للشيخ محمود تطلعات اخرى تختلف تماماً عن وجهات نظر قوى الاحتلال. فقد ذكر للسير ارنولد ولسون، ان (الشيخ) يمثل جميع الاكراد، ضمنهم اكراد ولاية الموصل واکراد كردستان ايران وآخرين، وانه يعبر عن طموحات الشعب الكردي في تشكيل دولة كردية تطبيقاً لوعود الرئيس الامريكي ويلسن وايضاً تطبيقاً لما أعلنه الحلفاء في شهر تشرين الثاني 1918 والذي اعلن في باريس ولندن والقاهرة.

لم يماطل الشيخ في تعريف مطالبه وبوضوح، فهو لم يلجأ لأنصاف الحلول، وهي أصلاً غير واقعية في بيئة شرقية متخلفة مثل "الحكم الذاتي" أو "اللامركزية" أو "الحكم الذاتي الحقيقي". كان الشيخ شجاعاً وصادقاً في إيمانه بما هو حق للشعب الكردي.

شعر الشيخ محمود بمماطلة الانكليز في الاعتراف بدولة كردية مستقلة، وتنبهت سلطات الاحتلال الى ان الشيخ محمود لا يتصرف ضمن اطار مصالحهم وكانت مطالبه القومية تزعجهم، فبدأ التدهور في العلاقات بين السليمانية وادارة الاحتلال البريطانية. لجأ الانكليز الى سياسة فرق تسد وذلك لعدم توفر قوات كافية لفرض ارادتهم بالقوة. وفي كل الاحوال فإن اتباع سياسة فرق تسد كانت ناجحة في مجتمع حديث عهد في التعامل مع البريطانيين. ولبحث الاوضاع المتأزمة عقد اجتماع موسع حضره كل من كوردن ولكر و ميجر سون و ليجمن والميجر نويل، وفي هذا الاجتماع تقرر استبدال نويل بالميجر سون، وقام الاخير على الفور بجولات في كردستان، وكان يتكلم اللغة الكردية بطلاقة، واسفرت جولته هذه بتخلي قبيلة الجاف عن تأييدها للشيخ محمود ثم تبعتها عشائر اخرى.

كان الشيخ محمود على دراية تامة بنوايا سلطات الاحتلال، ولا بد أنه شعر بأن البريطانيين يستبدلون محتلاً بمحتل آخر، لقد غادر الترك ولكن جيبء بالإحتلال العربي من خلال السلاح الجوي البريطاني. كان ذلك في غاية الإحباط، فأعد الشيخ العدة في 22 ايار/مايس 1919 للهجوم على مدينة السليمانية، ولم تتمكن قوات الليفي ابداء مقاومة فعالة بوجه قواته، فسيطرت قوات الشيخ على المدينة وقبض على الميجر F. S. Greenhouse الذي كان ينبغي بشكل مؤقت عن الميجر سون. ثم أعلن الشيخ نفسه حاكماً عاماً لكردستان ورفع العلم الكردي واصدر الطوابع البريدية وعين المسؤولين لتولى الشؤون الادارية في جميع المقاطعات. (10)

لقد سعت قوى الاحتلال البريطانية إعادة السيطرة على السليمانية، وبإقتراب قواتها من ممر طاسلوجه، حاصرتها القوات الكردية وارغمتها على التقهقر وفقدت 4 سيارات مدرعة و19 سيارة فوردي كما عانت من خسائر في الأرواح. ويذكر It..Col Sir Arnold Wilson عن أثر الهزيمة بأنها " عززت الإنطباع العام بين سكان جنوب كردستان بأننا لانسيطر على الأحداث، فانتشرت الإنتفاضة في الأراضي الإيرانية وقامت عدة قبائل بوجه الحكومة الفارسية، وهم يعلنون تأييدهم لمشروع الشيخ محمود في كردستان موحدة وحرّة". (11)

بقيت السلطات البريطانية تعادي حق الشعب الكردي في تشكيل دولته على أرضه، ومن أجل القضاء على الكيان الكردي الحديث الولادة قرر القائد العام القيام بعمل عسكري للقضاء على الحكومة الكردية، فتحرك قائد الفرقة البريطانية 18 من الموصل، الجنرال Theodore Fraser، وتجمع الجيش في كركوك "جيش جنوب كردستان" حسب تسمية أرنولد ولسون. وقريباً من خانقين تحركت قوة بريطانية أخرى مؤلفة من المشاة ومن المدفعية الجبلية ووجهتها مدينة السليمانية. في وسط حزيران/يونيو تحشدت قوات الجنرال فريزر في جمجمال للهجوم على قوات الشيخ محمود المتمركزة في مضيق دربندي بازيان. لقد أظهرت القوات الكردية بسالة في المقاومة، ولاقي 48 منهم مصرعهم وحصلت معارك بالأيدي لكن في النهاية أصيب الشيخ محمود وشقيقه، ووقعا في الأسر وخسر الكرد المعركة وأصبح الطريق مفتوحاً لإحتلال العاصمة – السليمانية - ثم تلتها أسابيع من العقوبات ضد المشاركين في دعم تأسيس الدولة الكردية. (12)

إن هذا يرينا شجاعة الشيخ ومدى إيمانه بالتضحية من أجل إستقلال كردستان فقد كان يقاتل في الخطوط الأمامية من الجبهة. ولابد هنا من ذكر موقفه وهو في الأسر ومحكوم عليه بالإعدام، ولنستشهد بواحد من أقطاب المحتلين البريطانيين، الا وهو أرنولد ولسون: "جبيء بالشيخ محمود الى بغداد وشفا من جرحه بسرعة. وقدم مع رفيقه شيخ غريب أمام محكمة عسكرية بتهمة التمرد وحكم عليه بالموت." (13)

هذا القرار ألغي وحكم عليه بالسجن ثم بالنفي.

ويقول أرنولد ولسون: "رغم أنني تعاطفت مع المشاعر التي إنبتق منها مبادرة الرأفة، الا أنني عارضته رسمياً وذلك طالما بقي الشيخ محمود على قيد الحياة سيبقى أنصاره في جنوبي كردستان متفائلين، ويلازم الخوف أعدائه من عودته، وأن موته سيساهم أكثر من أي عامل آخر في إعادة الهدوء، لقد شاهدته في ثلاث مناسبات في المكتب في السليمانية، وشاهدته في المستشفى عندما أنكر بإيمانه نبيلة شرعية أية محكمة عسكرية في محاكمته وأعاد ذكر مبادئ ولسون والإعلان البريطاني الفرنسي المشترك في 1918/11/8....." (14)

هنا لابد من الإشادة بهذا الموقف النبيل من الشيخ محمود وهو في الأسر، الذي يتناقض تماماً مع مواقف مماثلة ساعة المحنة، مرّ بها التاريخ الكردي في القرن الماضي، كما حصل لملا مصطفى مع شاه إيران إثر قرار قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني إنهاء الثورة والإلتجاء الى إيران في آذار عام 1975، كما يتناقض مع موقف عبدالله أوجلان عند إختطافه من قبل أمن الحكومة التركية. لقد تعامل مع البريطانيين بصورة حضارية ولم يتبنى أسلوب الإستجداء وإبداء الطاعة والإحناء أمام الضباط السياسيين البريطانيين.

في خلاصة هذا المقال نستنتج مايلي:

- كان هدف الإحتلال البريطاني لجنوب كردستان هو عامل النفط، ومن هنا الإصرار في المفاوضات مع الحكومة التركية على الإحتفاظ بكردستان الجنوب (ولاية الموصل) ضمن الدولة العراقية، حيث يتدفق النفط بسهولة الى موانئ الجنوب.
- في الفترة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الأولى وتسوية الحدود التركية العراقية عام 1925، كانت كردستان الجنوب أرض متنازع عليها بين بريطانيا والعراق وبين تركيا.
- قامت قوات الإحتلال البريطانية بإستيراد وصنع وتوزيع ملك للعراق وألحقت كردستان الجنوب به رغم إرادة الشعب الكردي. وقضي على ملك كردي ظهر بصورة طبيعية من بين أبناء شعبه.
- في مفاوضات لوزان العديدة تبنى البريطانيون والترك زوراً حقوق الشعب الكردي من أجل إلحاق كردستان الجنوب كل بدولته.
- تقرب الأتراك من الكرد لكسب دعمهم ضد بريطانيا والعكس صحيح أيضاً. هنا نصل الى وضع أصبحت كردستان قضية للتداول بين الدولتين المتنازعتين. وفقد الكرد عنصر المبادرة والوزن السياسي في صياغة الحلول لقضيتهم الوطنية.

- رحب الكرد بالمحتل الجديد (بريطانيا) في البداية، فقد ظن أن المستعمر الجديد سيعمل وفق الوعود التي قطعها للشعوب الراححة تحت النير التركي، وعندما تيقن الشيخ محمود الحفيد من الأكاذيب الإستعمارية قام بعدة إنتفاضات تعبيراً للإرادة الشعبية في تشكيل الدولة الكردية.
- في الفترات التي أوكل شيخ محمود بتمثيل السلطات البريطانية، أو عندما أعيد من المنفى، كان ذلك محض تكتيك وقتي هدفه إبعاد الترك عن جنوب كردستان، إذ كان ينقص بريطانيا القوات الكافية لمواجهة القوات التركية خاصة إذا دعمها الكرد.
- شكل الإحتلال الأوروبي، (بريطاني - فرنسي) لكردستان كارثة للشعب الكردي، إذ تبنا مشاريع الإلحاق القسرية بسوريا والعراق.
- في المرحلة التي تلت مباشرة نهاية الحرب العالمية الأولى، أظهر المجتمع الكردي ضعفاً مفراطاً في ديناميكياته السياسية التنظيمية، فسهل تمزيقه وإخضاعه ونفي أو سجن أو إعدام قادته وإحتلال أرضه. ونجحت سياسة فرق تسد الإستعمارية في تشتيت وحدة نضاله من أجل التحرر. لكن هذا الإحتلال رغم دوامه لم ينجح في خلق الإستقرار والهدوء. فتلاحقت الإنتفاضات والثورات دون إنقطاع الى يومنا هذا.
- لعبت الهيمنة القبلية دوراً كبيراً في شدّ المجتمع الكردي الى الوراء، وسدّ الطريق أمام القيم الثورية الوطنية الأصيلة وظل المجتمع الكردي يعاني من الفساد والإستبداد والظلم المحلي والأجنبي.
- يعود الفضل للمقاومة الباسلة التي أباها الشيخ محمود في تعرية السياسة البريطانية وتناقضها مع وعود الرئيس الأمريكي ولسون والإعلان الأنكلو- فرنسي المشترك. وأظهر بريطانيا على حقيقتها الكولونيالية الظالمة.
- كان هدف الزعماء الكرد: شيخ محمود الحفيد، شريف باشا، الأمير عالي بدرخان و خليل بدرخان هو إقامة دولة كردية.
- إن المخاوف التي عبّر عنها الشيخ من خلال رفضه إلحاق كردستان وإخضاع الشعب الكردي لحكم عربي، تحققت، فالمجازر والقصف البريطاني العربي المشترك لمأت القرى الكردية في الثلاثينات والأربعينات، وثم سياسة الأرض المحروقة في كردستان والأسلحة الكيماوية وحملات الإبادة في كردستان، تقف شاهداً على موقفه الصائب من إيجاد الدولة كردية.
- وللأسف إنتفاضات جنوب كردستان في النصف الثاني من القرن العشرين إتسمت بالتراجع عن المطالب القومية الكردية التي قدمها "ملك كردستان" في العشرينات والثلاثينات.
-
- تحية إجلال وتقدير لهذا القائد الكردي الكبير في ذكرى مرور خمسين عاماً على وفاته عام 1956 وهو لا يزال في المنفى العراقي.

- (1) Chris Kutschera. Le mouvement national Kurde. 1979, Flammarion, Paris. P :24.
- (2) المقاومة الكردية للإحتلال. أيوب بارزاني. دار نشر حقائق المشرق . جنيف. 2002. ص: 23.
- (3) Chris Kutschera. Le mouvement national Kurde. 1979, Flammarion, Paris. P : 27.
- (4) المقاومة الكردية للإحتلال. أيوب بارزاني. دار نشر حقائق المشرق . جنيف. 2002. ص : 23.
- (5) Chris Kutschera. Le mouvement national Kurde. 1979, Flammarion, Paris. P :25.
- (6) Lt..Col Sir Arnold Wilson , Mesopotamia 1917 - 1920. Oxford University Press. London. 1931. P: 86.
- (7) Lt..Col Sir Arnold Wilson , Mesopotamia 1917 - 1920. Oxford University Press. London. 1931. P : 86.
- (8) Chris Kutschera. Le mouvement national Kurde. 1979, Flammarion, Paris. P : 56 – 57.
- (9) المقاومة الكردية للإحتلال. أيوب بارزاني. دار نشر حقائق المشرق . جنيف. 2002. ص : 26 – 27.
- (10) Lt..Col Sir Arnold Wilson , Mesopotamia 1917 - 1920. Oxford University Press. London. P: 136.
- (11) Lt..Col Sir Arnold Wilson , Mesopotamia 1917 - 1920. Oxford University Press. London. P: 137.
- (12) Lt..Col Sir Arnold Wilson , Mesopotamia 1917 - 1920. Oxford University Press. London. P: 137.
- (13) Lt..Col Sir Arnold Wilson , Mesopotamia 1917 - 1920. Oxford University Press. London. P: 139.
- (14) Lt..Col Sir Arnold Wilson , Mesopotamia 1917 - 1920. Oxford University Press. London. P: 139.

